الخطبة الثالثة عشرة

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب» البخاري – مسلم – النسائي – ابن ماجه.

الإسلام عقيدة – الإسلام تصور وفكرة – الإسلام قناعة – الإسلام عبادة – الإسلام منهج – الإسلام حياة – الإسلام أخلاق – الإسلام معاملة – الإسلام سلوك – الإسلام زي – الإسلام كُلٌّ متكاملٌ ظاهراً وباطناً.

المسلم له هم واحد، همه أن يعرف ما يريده الله منه وما يريده رسوله عليه الصلاة والسلام منه ليطبقه؛ لأنه يؤمن بأن النجاة في الدنيا والآخرة، والفوز في الدنيا والآخرة، والسعادة في الدنيا والآخرة، والغنى في الدنيا والآخرة هي في تطبيق شرع الله قرآنًا وسنَّة.

قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 2/ 138]، وانظر إلى كلمة صبغة، ما معنى ذلك؟ تقول: صبغت الثوب بالأزرق أي: أن الثوب كله أصبح أزرقًا، صبغة الله: الإسلام، كله صار مسلمًا، كله صار لله، كله يطبق شرع الله في فكره ومعتقده، في عمله، في أكله وشربه، في تصرفاته، في معاملته، حتى في قلبه حبًا وكراهة خوفًا وفرحًا، شجاعة وجبنًا في أحاسيسه في ماله في كل شيء، صبغة الله ما أجملها من كلمة! وما أجملها من معنى! أنا مسلم، أنا مصبوغ بشرع الله قلبًا وقالبًا.

فإذا نظرت إلى إنسان مسلم ورأيت في تصرفاته أو في كلماته أو في عاداته أو في ملبسه أو مأكله خللاً عرفت أن هناك نقصًا في تطبيقه وذلك لقلة ورعه وإيمانه، الخلل دائمًا دليل نقص، والخلل قد يكون دليل شبهة، دخلت على هذا الإنسان المسلم، والخلل قد يكون دليل تأثر؛ فالذي يعيش في بيئة غير مسلمة قد يتأثر بعادات وطبائع ونمط المعيشة، والتأثر هذا قد يزيد وينقص بحسب ما يعلمه هذا الشخص من دينه أو بحسب إيمانياته وورعه، وأحيانًا أخرى - والعياذ بالله - تسيطر على هذا المسلم شبهاته، وشهواته وتأثره بغير المسلمين، والشيطان من وراء ذلك يدعوه إلى التمادي في الخلل والغلط والانحراف، ويدعوه إلى الدعوة إليه وإلى الالتزام به والحض على هذا الانحراف والخلل الباطل، فيصبح هذا الإنسان - والعياذ بالله - أحد أعوان الشيطان، ومن الدعاة إلى الخلل والانحراف.

والله الذي لا إله إلا هو أتألم عندما أرى انحرافًا، وتألمي أكبر كلما كَبُرَ الانحراف، فهمّي هو أن أنجو وهمّي أن ينجو المسلمون.

تذكر دائمًا أن الإسلام صبغة، فعندما ترى مسلمًا يحلق نصف رأسه ويترك النصف الآخر هل هذه سمة الإسلام وصبغته؟ ترى مسلمًا من الشباب يصبغ شعره بالأحمر والأزرق ويرفعه ويخفضه ويضع عليه المثبتات وما إلى ذلك أهذه

صبغة الإسلام؟ أنا لا أقول – والعياذ بالله – : أن هذا كفَر أو خرَج من الملة – معاذ الله – فنحن أهل السنة والجماعة لا نُكَفّر أحداً من أهل القبلة بذنب أو بمعصية، ولكن أقول: أهذه صبغة الإسلام؟ والتأثر قد يكون قليلاً بداية، ولكن ما هو الضمان في عدم ازدياد هذا التأثر فيصبح حياة ومعيشة ومنهجاً وسلوكاً وقناعة ثم عقيدة وعبادة فيكون كفراً بواحاً والعياذ بالله؟ كم من أناس ضلوا نهاية بسبب انحراف بسيط بدايةً.

قد تستغرب مني ولكن إليك الدليل: قال البخاري كما جاء في تفسير ابن كثير في تفسير سورة نوح (4/ 548) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «وَد وسُواع ويغوث ويعوق ونسراً كانوا رجالاً صالحين، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً (أي: تماثيل لهم) وسموها بأسمائهم، ففعلوا ذلك فلم تعبد، حتى هلك أولئك ونُسِخَ العلم عُبِدَتْ». انتهى كلام ابن عباس والتفسير.

فانظر إلى هذه الشبهة بداية، اجلسوا في مجالس هؤلاء الصالحين، ثم لكي تتذكروهم اعملوا تماثيل على شاكلتهم، وادعوها بأسمائهم، ثم مضت السنين، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ حسب الناس أن هؤلاء التماثيل للعبادة فعبدوهم فضلوا وأضلوا، ولما جاء نوح عليه السلام أمرهم بأن يعبدوا الله، وحدَه ولا يعبدوا هذه التماثيل، فردوا عليه وسجل الله كلامهم بقرآن يتلى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: 71/ 23 – 25].

النتيجة أن القضية في البداية كانت انحرافاً بسيطاً ثم صار نهايةً كفراً وشركاً ومحاربة لنبي الله، وهذا ما نخاف منه، التأثر قد يكون بداية بريئاً بسيطاً ولكن من يضمن نتيجة الانحراف.

ثم انظر إلى الناس فترى الوشم على أجسادهم نساءً ورجالاً، وأصبحت قضية الوشم هذه قضية شائعة محببة جذابة، والبنت تدعو الشاب الذي تخرج معه (هذه قضية أخرى) أو الزميلة في الجامعة أو الزميلة في العمل، والعكس بالعكس أن يذهبا للوشم.

سبحان الله ما أقبحها من عادة وما أخسها، أين عقل هذا الشاب أو هذه البنت؟! أن تسمح لإنسان أن يطبع على جسدك رسماته وخطوطه، أوتصاويره، كرامتي لا تسمح لي، عزتي بنفسي لا تسمح لي، ثم هل هناك أجمل من خلق الله؟ مستحيل، هذا الجلد الجميل الذي خلقه الله، هل يعقل أن تكون تصاوير مخلوق أجمل من خلق الخالق؟ أعوذ بالله!

ثم هذا محرم في شرعنا، هذا تغيير لخلق الله، فعن أبي ريحانة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «نهى عن الوشر والوشم والنتف ومكامعة الرجلُ الرجلَ بغير شعار، ومكامعة المرأة المرأة بغير شعار، وأن يجعل الرجل في أسفل ثوبه حريراً مثل الأعاجم، وأن يجعل على منكبيه حريراً مثل الأعاجم، وعن النهبى، وركوب النمور، ولبس الخاتم إلا لذي سلطان» حم - د - ن، الوشر: هو ترقيق الأسنان، مكامعة: أن ينام الرجل مع الرجل، شِعَار هو اللباس مما يلي الجسد، أو الذي يفصل بين الرجل والرجل، والنهبى: هي الإغارة على قوم والسرقة منهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله النائحة والمستمعة والحالقة والسالقة والواشمة والمستوشمة» البيهقي، (المستمعة) أي: التي تَسمع الشكوى والبكاء والعويل وما إلى ذلك، (المُسمعة) أي: المغنية التي تغني وصوتها قوي تُستأجر عند المصائب والأحزان أو الأفراح لصوتها، (سَمَّعَه) أي: شتمه، (السالق): لسانها سليط، كما في قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: 33/ 19].

وعن معقل بن يسار قال ﷺ: «لعن الله الواصلة والموصولة» حم - طب، وعن أبي أمامة قال ﷺ: «لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور» ابن ماجه، ابن حبان، والطبراني، فكل هؤلاء ملعونون نساءً كانوا أو رجالاً، ولعن الله المسترجلات من النساء، ولعن الله مخنثي الرجال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء والمتشبهات بالرجال» مسند الإمام أحمد - ومصنف عبد الرزاق.

كل هذه السمات ليست إسلامية، ولا يرضى بها الله سبحانه وتعالى، وبعضها يستحق اللعن من الله ومن رسوله كما مر معنا، وبعضها مناف للعادات وللتقاليد وللزي الإسلامي ، بربك ما رأيك بهذا الذي يُنزل بنطاله إلى أسفل استه حتى يُرى لباسه الداخلي! وتصبح جيوب بنطاله عند ركبتيه، ويمشي مباعداً بين قدميه كالذي به عاهة حتى لا يقع ما تبقى من البنطال على أسفل خصره؟! أو يصبح كالأكتع أو المعتوه فيمسك بيده بنطاله حتى لا يسقط فيصبح كالمشلول بيد واحدة! ثم يكون أسفل البنطال ورجليه على الأرض يلم الأوساخ ويكنس الشوارع.

اللهم لا تحرمنا نعمة الإسلام ولا نعمة الإيمان، اللهم لك الحمد على شرعك القويم، ثم ترى أناسًا يضعون أسنانًا من ذهب أو فضة فوق أسنانهم أو يضعون حلقًا في آذانهم ومناخيرهم كالحيوانات عندنا في بلادنا، فإننا نضع حلقة في منخر الثور حتى نسوقه منه، ثم ترى بعض الشباب والفتيات يخرزون في شفاههم وألسنتهم وفي أماكن جسدهم كرات فضية صغيرة (Piercing)! رأيت إحداهن تضع ثلاث أو أربع كرات على لسانها، قلت: ما هذا؟! قالت: (Cool)، إذا تكلمت فإنها تغير نطقي فيصبح نطقي مختلفًا جذابًا.

أي: أنها تصبح معتوهة متلكعة، كلامها غير واضح، يا سبحان الله! متى أصبح العيّ

جذاباً؟ ثم ترى بعضهم وقد وضع سلاسل من جيبه إلى جيبه ومن الأمام إلى الخلف، نسميها في بلادنا جنزير، جنزير للمفاتيح وجنزير لمحفظة الجيب وجنزير لكلبه، وترى بعضهم يلبس قميصاً أكبر منه بخمس مرات، أو بنطالاً أعرض منه وأطول منه، قال ﷺ: «ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك أما لك فيّ أسوة؟» حم.

ومنهم مولع بالكلاب لا يذهب إلا بصحبته ولا يأتي إلا بصحبته، ونسي قوله ﷺ: «من اقتنى كلباً – إلا كلب ماشية أو ضارياً – نقص من عمله كل يوم قيراطان» البخاري ومسلم/ مسند الإمام أحمد، النسائي. (القيراط): قدر جبل أُحد، ضارياً معناه كلب صيد.

وترى بعضهم يتختم بخاتم من ذهب، أو يضع أسورة من ذهب، أو يضع سلسالاً من ذهب حول عنقه، ونسي قوله ﷺ عن أبي موسى رضي الله عنه: «حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحِلَّ لإناثهم» الترمذي، وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً» حم – ك – طب، ثم ترى منهم من يلبس ثياباً مقطعة مُظْهِرة لبعض أماكن العورة، لا خجل ولا حياء والعياذ بالله ويسمونها موضات!

أنا في اعتقادي أن كل المظاهر التي ذكرتها وكل الانحرافات التي نراها في الشارع وفي هذا المجتمع الضال هي عبارة عن انحرافات أمر بها الشيطان، ومن يفعل هذه الانحرافات هو عبد للشيطان؛ لأنه سمع أوامره وينفذها ويعيشها، ولا تستغرب مني هذا، فإليك كلام ربك المحفوظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ

خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴾ [النساء: 4/ 116 – 121].

انظر إلى قول الشيطان وانظر إلى الواقع، ألا ترى معي أوامره قد نُفِّذت وطبقت؟ (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) وهل بعد المخدرات وإظهار العورات وتغيير خلق الله من الوشم وما شابهه من ضلال وانحراف؟ (وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) بأن هذا الانحراف جميل ولذيذ (Cool)، (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ) ألا ترى التشويه في الأجساد من وشم ووخز (Piercing)، ألا ترى التشويه في الحلق وقص الشعر والألوان؟ (يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ) يعدهم بالسعادة، يعدهم باللذة، يعدهم بالحرية، والله إنه لكذب والله ما هم بسعداء وما هم بأحرار، إنهم تعساء وعبيد للشيطان ولشهواتهم. والله إنهم يعيشون في فراغ، ويهربون من تعاستهم إلى المخدرات وإلى الدخان بأشكاله وإلى الكحول بأنواعها، الجريمة متفشية، والطلاق متفشٍّ، والقمار متفشٍّ، والاضطرابات النفسية متفشية.

تقول الإحصائيات: إن الولايات المتحدة هي أكثر دولة في العالم تستخدم العقاقير النفسية والمهدئة، نعم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، والإحصائيات هي البرهان على كذب الشيطان وتغريره، قال خالق الخلق: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الزخرف: 43/ 36 – 40]، اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، اللهم ارحمنا واغفر لنا، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم